

الاصول من الكافي

ثقة الاسلام ابي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي رحمه الله المتوفى سنة 328 / 329 هـ

مع تعليقات نافعة مأخوذة من عدة شروح

مقدمة ونبذة

ثقة الإسلام الكليني

هو ثقة الإسلام شيخ المشايخ محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي من كبار علماء الشيعة في زمان الغيبة الصغرى

ولادته

إن ثقة الإسلام الكليني أبرز عالم و فقيه و محدث شيعي في النصف الثاني من القرن الثالث و النصف الأول من القرن الرابع

ولد في زمن الإمام الحادي عشر في قرية (كلين) التي تبعد عن مدينة الري 38 كيلومتراً في أسرة مملوءة بالعشق و الحب لأهل البيت عليهم السلام

أسرته

أبوه يعقوب بن إسحاق و كان فاضلاً و من أصل عريق، و قد تولى تربية ابنه منذ صغره و لقنه بلسان العمل و الأخلاق و السلوك و الآداب الإسلامية

و يقع قبر والده في قرية كلين قرب حسن آباد في مدينة الري و كان مزاراً للشيعة على مدى قرون

و كان لخاله أيضاً دور في تعليمه و تربيته حيث كان محدثاً كبيراً و من عشاق مدرسة أهل البيت و كان اسمه (علان) و قد استشهد في طريق الحج إلى بيت الله الحرام

و قد انتهل الكليني في صغره من هذا العالم و من أبيه و تعرف على علم الحديث و الرجال و قد سافر إلى مدينة الري بعد أن أكمل دراسته الابتدائية ليترقى في مدارج الكمال الإنساني حيث كانت هذه المدينة تحظى بمنزلة علمية خاصة

مدينة الري

لقد كانت مدينة الري قلب إيران، و قد أصبحت ملتقى للآراء من الفرق المختلفة كالإسماعيلية و المذاهب كالمذهب الشافعي و الحنفي و الشيعي

و لم يقتصر الكليني في ذلك الزمان في دراسته على العقائد و آراء المذاهب و الاتجاهات المختلفة بل كان يتعرف على بعض الحركات التي كانت تحاول تحريف التشيع عن مسيرته و قد عرف الكليني الداء و تصدى لعلاجه

و كان يعتقد بأن علاج كل هذه المشاكل هو الرجوع إلى كلام أهل البيت عليهم السلام

و قد حدد الكليني في تلك الفترة مسيرته بعيداً عن كل صخب مصمماً على ضبط و معرفة الأحاديث و لذا فقد حضر عند أساتذة كبار كأبي الحسن محمد بن الأسدي الكوفي و انشغل بكتابة الأحاديث و البحث فيها فتفوق في ذلك

هجرته إلى قم

ينبغي أن يسمى عصر الكليني بعصر الحديث فقد بدأت في ذلك الزمان نهضة مهمة في جمع و سماع و كتابة الأحاديث و الروايات في جميع أرجاء البلاد الإسلامية، و يمكن أن يعد الكليني من بين أولئك المتعطشين لعلم الحديث

عرف الكليني عصره و الزمان الذي كان يعيش فيه و أنه مرحلة لعبور التشيع و أن الأحاديث و الروايات لو سلمت في هذه الأزمنة فإن التشيع سوف يسلم على الدوام من كل انحراف في مسيرته فترك مدينة الري حيث كان أتباع المدرسة العلوية قد وصلوا توأ إلى السلطة متوجها إلى مدينة قم المشهورة بالمحدثين

الحضور عند العلماء

لقد اقترن وصول الكليني إلى قم مع وصول أفراد من أهل الفضل و التقوى إلى مقام الحكم السياسي و الديني و كانوا من المحدثين المشهورين في ذلك الزمان

و كان على رأس هؤلاء أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري الذي لا يخفى فضله و تقواه و حبه لأهل البيت عليهم السلام

و قد حضر الكليني - فضلاً عن حضوره عند هذا العالم الكبير - عند أستاذ يعرف بالمعلم و قد اعتبر الشيخ الطوسي (المعلم) في كتابه الرجالي من أصحاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام و أنه قد تشرف بخدمته و هو أحمد بن إدريس القمي

يقول النجاشي بأن هذا الرجل قد لقب بالمعلم لأنه تتلمذ عند الإمام الحسن العسكري عليه السلام و كان أستاذاً للشيخ الكليني

و قد حضر الكليني أيضاً عند عالم مهذب آخر قل نظيره و هو عبد الله بن جعفر الحميري الذي اعترف جميع المؤرخين و علماء الرجال و المحدثين بمنزلته، و كان أيضاً من جملة أصحاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام و له مؤلفات كثيرة و للأسف فإنه لم يصل إلينا من مؤلفاته غير كتاب (قرب الإسناد) و الذي هو مجموعة من الأخبار يصل سندها إلى الإمام المعصوم عليه السلام

و بالإضافة إلى هؤلاء فقد حضر الكليني عند أساتذة آخرين سيمر ذكرهم لاحقاً

هجرته الأخرى

و برغم أن مدينة قم كانت تعد مركزاً للتشيع و الباحثين عن كلام أهل البيت عليهم السلام إلا أن الكليني لم يكتف بذلك بل قرر الاستمرار في البحث عن الروايات و الأحاديث التي لم تطرق سمعه

و لذا فقد بدأ هجرته متوجهاً إلى المدن و القرى الأخرى و قد زار منها الكثير و حضر عند المحدثين و رواة الحديث للاستماع إلى أحاديث أهل البيت عليهم السلام

و كانت الكوفة من جملة ما ذهب إليه الكليني و التي كانت تعد في ذلك الزمان مركزاً علمياً كبيراً و كان فيها (ابن عقدة) الذي اشتهر بحفظ الحديث و استطاع أن يجلب أنظار المهتمين بعلم الحديث إليه

و كان يحفظ مئة ألف حديث مع أسانيدھا و قد ألف الكثير من الكتب من أهمها (رجال ابن عقدة)

و قد ذكر ابن عقدة في هذا الكتاب أسماء ما يقرب من 4000 شخص من تلاميذ الإمام الصادق عليه السلام و نقل عن الإمام الصادق عليه السلام كثيراً من الروايات

و بقي هذا الكتاب إلى زمن الشيخ الطوسي و لكن و للأسف الشديد ضاع بعد ذلك كما هو الحال للكثير من التراث الثقافي لأهل البيت عليهم السلام

ثقة الإسلام

وصل الكليني إلى بغداد بعد أن حضر عند العشرات من الأساتذة والمحدثين في المدن و المناطق المختلفة و لا تعرف بالضبط مدة أسفار الكليني، و لكن يمكن القول بأنه قد خلف صورة جميلة للعالم الشيعي الحقيقي في كل منطقة كان قد زارها، فلم يكن شخصاً مجهولاً عندما دخل بغداد

و قد افتخر به الشيعة و نظر إليه أهل السنة نظرة حسنة

و قد ذاع صيته في التقوى و العلم و الفضيلة مما جعل كبار العلماء و المفكرين من معاصريه يرجعون إليه في حل إشكالاتهم الدينية، و أتباع الفرق الإسلامية يرجعون إليه في الفتوى و لأجل هذا فقد لقب بثقة الإسلام و كان أول من لقب بذلك في العصر الإسلامي

مقامه العلمي

لقد كانت عظمة الكليني عند أهل السنة بحد جعلت ابن الأثير عندما نقل رواية عن النبي صلى الله عليه وآله تقول "بأن الله يبعث على رأس كل قرن من يجدد الدين و يحييه"، فإنه قال بأن الذين أحيوا المذهب الشيعي هم الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام في بداية القرن الأول الهجري، و الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في بداية القرن الثاني و أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي في بداية القرن الثالث

و يمكن القول بكل ثقة و اطمئنان إن الكليني كان أشهر علماء عصره، ذلك العصر الذي شهد أعظم الجهود من قبل المحدثين و العلماء الكبار و حتى النواب الخاصين لإمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف

لقد عاصر ثقة الإسلام الشيخ محمد الكليني السفراء الأربعة و النواب الخاصين لإمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف خلال الغيبة الصغرى التي امتدت 69 عاماً و كانوا هم وسيلة الارتباط بين الشيعة و الإمام عليه السلام

لقد مدح الشيخ الكليني من قبل عامة الطبقات بالصدق و الوثاقة و السلوك المرضي و الإحاطة الكاملة بالأحاديث و الأخبار بحيث كان يرجع إليه في الفتوى الشيعة و السنة و كان موثقاً و معتمداً عند الفرقتين

و كان على رأس المذكورين بالأمانة و العدالة و التقوى و الفضيلة و الحفظ و ضبط الأحاديث و التي تمثل شروط المحدث الموثق الجامع للشرائط

رأي العلماء فيه

- يقول النجاشي بأنه كان في زمانه شيخ الشيعة و إمامهم في مدينة الري و كان يضبط الحديث أكثر من الآخرين و كان معتمداً أكثر من غيره

يقول ابن طاوس بأن وثاقة و أمانة الشيخ الكليني موضع اتفاق الجميع

يقول ابن الأثير بأنه قد منح فرقة الإمامية في القرن الثالث حياة جديدة، و كان عالماً كبيراً و فاضلاً مشهوراً في المذهب

4 - يقول ابن حجر العسقلاني بأن الكليني من رؤساء الشيعة و فضلائهم في أيام المقتدر العباسي

يقول محمد تقي المجلسي بأنه لم يأت مثل الكليني بين علماء الشيعة، و كل من دقق في أخباره و ترتيب كتابه فإنه يعتقد بأنه كان مؤيداً من قبل الله تعالى

أساتذته

لقد حضر الشيخ الكليني عند كبار العلماء الذين كان كل واحد منهم نابغة عصره و من بين هؤلاء

- أبو الحسن محمد بن الأسدي الكوفي

- أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري

- أحمد بن إدريس القمي

- عبد الله بن جعفر الحميري

- أحمد بن محمد بن عاصم الكوفي

- الحسن بن الفضل بن زيد اليماني

- محمد بن الحسن الصفار

- سهل بن زياد الأدمي الرازي

- محمد بن اسماعيل النيشابوري

- أحمد بن مهران

تلامذته

لقد تتلمذ عنده العديد من التلاميذ الذين صاروا من فقهاء الشيعة و محدثيهم و من مشاهير علمائنا في القرن الرابع الهجري في إيران و العراق، و من هؤلاء

- ابن أبي رافع الصميري

- أحمد بن أحمد الكاتب الكوفي

- أحمد بن علي بن سعيد الكوفي

- أبو غالب أحمد بن الزراري

- جعفر بن محمد بن قولويه القمي

- علي بن محمد بن موسى الدقاق

- محمد بن إبراهيم النعماني المعروف بابن أبي زينب الذي كان من خاصة تلاميذه و القربيين منه و الذي كتب نسخة من كتاب الكافي

- محمد بن أحمد السناني الزاهري المقيم في ري

- محمد بن علي ماجيلويه

- محمد بن محمد بن عصام الكليني

آثاره ومؤلفاته

من مؤلفاته القيمة

- كتاب الكافي، و هو أشهر كتبه و الذي لم يكن أعظم مؤلفاته فحسب بل لم يكن هناك كتاب في الحديث مثله من حيث الاعتبار في العالم الإسلامي و هناك عبارة تنسب لإمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف و هي «الكافي كاف لشيعتنا»

و يعتبر الكافي أول الكتب الأربعة

- كتاب الرجال

- كتاب الرد على القرامطة

- كتاب رسائل الأئمة عليهم السلام

- كتاب تعبير الرؤيا

- مجموعة شعر و تشمل قصائد شعرية في مناقب و فضائل أهل بيت العصمة و الطهارة عليهم السلام

الشيخ الكليني هو المنبع الصافي

لقد كان الشيخ الكليني - بالإضافة إلى ذوقه و نبوغه و سعيه الدعوى في كتابة و تصفية الأحاديث - عصارة علماء عصره

و كان جسراً قوياً و صادقاً أميناً لنقل أحاديث و روايات علماء عصره للأجيال اللاحقة، و في الحقيقة فإنه يمثل خلاصة عصره

و الحديث عن الكليني يعني الحديث عن جميع محاسن و لطائف و فضائل زمانه و كذلك الحديث عن عزم و إرادة التشيع في كسب المعارف و العلوم، و أيضاً فالحديث عنه يعني الحديث عن عطر كلام أهل البيت عليهم السلام و عن الأمانة التي لم تحفظ في قول النبي صلى الله عليه وآله "إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله و عترتي"

سنة تناثر النجوم

توفي الكليني عن 70 عاماً قضى منها 20 سنة في تدوين كتاب الكافي حيث تحمل الصعاب و الغربة

و مع أنه كان يعيش في سجن الدنيا و لكنه كان يتنفس في فضاء الجنة حيث قضى عمره بين كلام أهل البيت عليهم السلام متحملاً كل الصعاب في أداء هذه الفريضة

و قد توفي الكليني سنة 329 هـ ، التي سميت بسنة (تناثر النجوم) و قد صلى عليه عالم بغداد أبو قيراط و قد دفنه الشيعة بحزن في باب الكوفة ببغداد

و في تلك السنة توفي علي بن محمد السمري آخر نواب إمام الزمان و بدأت بموته الغيبة الكبرى فسلام عليه يوم ولد
و يوم سطع نجمه في سماء دنيا الإسلام كالشمس و يوم لقاءه بربه

أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين العاملي والخلصة للعلامة الحلي

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الم محمود لنعمته (1) المعبود لقدرته، المطاع في سلطانه (2) المرهوب لجلاله، المرغوب إليه فيما عنده، النافذ أمره في جميع خلقه، علا فاستعلى (3) ودنا فتعالى، وارتفع فوق كل منظر (4)، الذي لا بدء لاوليته، ولا غاية لازليته، القائم قبل الاشياء، والدائم الذي به قوامها، والقاهر الذي لا يؤوده حفظها (5) والقادر الذي بعظمته تفرد بالملكوت (6) وبقدرته توحد بالجبروت، وبحكمته أظهر حججه على خلقه.

اخترع الاشياء إنشاء، وابتدعها ابتداء، بقدرته وحكمته، لا من شئ فيبطل الاختراع (7) ولا لعله فلا يصح الابتداء، خلق ما شاء كيف شاء، متوحداً بذلك لآظهار حكمته، وحقيقة ربوبيته، لا تضبطه العقول، ولا تبلغه الاوهام، ولا تدركه الابصار، ولا يحيط به مقدار، عجزت دونه العبارة، وكلت دونه الابصار، وضل فيه تصاريف الصفات (8).

احتجب بغير حجاب محجوب، واستتر بغير ستر مستور، عرف بغير

(1) في بعض النسخ " بنعمته " واللام في قوله لقدرته لام التعليل أي يعيده العابدون لكونه قادرا على الاشياء فاعلا لما يشاء في حقهم فيعبودونه اما خوفا وطمعا أو إجلالا وتعظيما. (شج).

(2) أي: فيما أراد منا على وجه القهر والسلطنة لا فيما أراد منا وأمرنا به على وجه الاقدار والاختيار. أو بسبب سلطنته وقدرته على ما يشاء. (أت).

(3) الاستعلاء اما مبالغة في العلو أو بمعنى اظهاره (أت).

(4) المنظر مصدر نظرت إليه، والموضع المرتفع، فالمعنى انه ارتفع عن أنظار العباد، أو عن كل ما يمكن أن ينظر إليه. (أت)

(5) " لا يؤوده " أي: لا يثقله ولا يشق عليه حفظ الاشياء. (شج).

(6) " الملكوت " فعلوت من الملك كالرغوت من الرغبة والرهبوت من الرهبة والرحموت من الرحمة والجبروت من الجبر من صيغ التكثير وابنية المبالغة. (شج).

(7) " لا من شئ ": قال بعض الافاضل: الاختراع في اليجاد لا بالاخذ من شئ يماثل الموجد ويشابهه والابتداء في اليجاد لا لمادة وعلة فقوله لامن شئ اي لا بالاخذ من شئ فيبطل الاختراع، ولا لمادة فيبطل الابتداء. أت.

(8) أي ضل في طريق نعته نعوت الناعتين، وصفات الواصفين بفنون تصاريفها، وأنحاء تعبيراتها (شج).

[*]

[3]

رؤية، ووصف بغير صورة، ونعت بغير جسم، لا إله إلا الله الكبير المتعال، ضلت الاوهام عن بلوغ كنهه، وذهلت العقول أن تبلغ اية نهايته، لا يبلغه حدوهم، (1) ولا يدركه نفاذ بصر، وهو السميع العليم، احتج على خلقه برسله، وأوضح الامور بدلائله، وابتعث الرسل مبشرين ومنذرين، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة، وليعقل العباد عن ربهم ما جهلوه، فيعرفوه بربوبيته بعدما أنكروه، ويوحده بالالهية بعد ما أضدوه (2) أحمدده، حمدا يشفي النفوس، ويبلغ رضاه ويؤدي شكر ما وصل إلينا، من سوايغ النعماء، وجزيل الألاء وجميل البلاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهها واحدا أصمدا لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وأشهد أن محمدا صلى الله عليه وآله عبد انتجبه، ورسول ابتعثه، على حين فترة من الرسل وطول هجعة من الامم(3) وانبساط من الجهل، واعتراض من الفتنة وانتقاض من المبرم(4) وعمى عن الحق، واعتساف من الجور(5) وامتحاق من الدين.

وأنزل إليه الكتاب، فيه البيان والتبيين، قرأنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون، قد بينه للناس ونهجه، بعلم قد فصله، ودين قد أوضحه، وفرائض قد أوجبها، وامور قد كشفها لخلقها وأعلنها، فيها دلالة إلى النجاة، ومعالم تدعو إلى هداها.

فبلغ صلى الله عليه وآله ما ارسل به، وصدع بما امر،(6) وأدى ما حمل من أثقال النبوة، وصبر لربه، وجاهد في سبيله، ونصح لامته، ودعاهم إلى النجاة، وحثهم على

(1) اي: حدة الاوهام أو نهاية معرفة الاوهام (أت) وفي بعض النسخ [عدوهم].

(2) أي: جعلوا له أضدادا.

(3) بالفتح: طائفة من الليل. قال الجوهري: أتيت بعد هجعة من الليل أي: بعد نومة خفيفة.

واستعيرت هنا لغفلة الامم عما يصلحهم في الدارين. (أت).

(4) الانتقاض: الانحلال، والمبرم المحكم. " وعمى عن الحق " في بعض النسخ [من الحق].

(5) الاعتساف: الاخذ على غير الطريق. والامتحاق: البطلان.

(6) أي: أظهره وتكلم به جهارا أو فرق بين الحق والباطل (أت).

[*]

[4]

الذكر ودلهم على سبيل الهدى من بعده بمناهج ودواع أسس للعباد أساسها(1) ومناثر رفع لهم أعلامها، لكيلا يضلوا من بعده، وكان بهم رؤوفا رحيفا.

فلما انقضت مدته واستكملت أيامه، توفاه الله وقبضه إليه، وهو عند الله مرضي عمله، وافر حظه، عظيم خطره، فمضى صلى الله عليه وآله وخلف في امته كتاب الله ووصيه أمير المؤمنين، وإمام المتقين صلوات الله عليه، صاحبين مؤلفين، يشهد كل واحد منهما لصاحبه بالتصديق، ينطق الامام عن الله في الكتاب، بما أوجب الله فيه على العباد، من طاعته، وطاعة الامام وولايته، وواجب حقه، الذي أراد من استكمال دينه، وإظهار أمره، والاحتجاج بحججه، والاستضاءة بنوره، في معادن أهل صفوته ومصطفى أهل خيرته فأوضح الله بأئمة الهدى من اهل بيت نبينا صلى الله عليه وآله عن دينه وابلج بهم عن سبيل مناهجه(2) وفتح بهم عن باطن ينابيع علمه، وجعلهم مسالك لمعرفة، ومعالم لدينه، وحجابا بينه وبين خلقه، والباب المؤدي إلى معرفة حقه واطلعم على المكنون من غيب سره.

كلما مضى منهم إمام، نصب لخلقهم من عقبه إماما نبيا، وهاديا نيرا وإماما قيما(3)، يهدون بالحق وبه يعدلون، حجج الله ودعواته، ورعاته على خلقه، يدين بهديهم العباد(4)، ويستهل بنورهم البلاد، جعلهم الله حياة للانام، ومصابيح للظلام ومفاتيح للكلام، ودعائم للاسلام، وجعل نظام طاعته وتمام فرضه التسليم لهم فيما علم، والرد إليهم فيما جهل،

وحظر على غيرهم التهجم على القول بما يجهلون(5) ومنعهم جحد ما لا يعلمون، لما أراد تبارك وتعالى من استنقاذ من شاء من خلقه، من ملمات

(1) الضمير راجع إلى المناهج والدواعي، والمراد بسبيل الهدى منهج الشرع القويم وبالمناهج والدواعي أوصياؤه عليهم السلام وبالتأسيس نصب الأدلة على خلافتهم. (أت).

(2) أبلج: أي أوضح من البلوج وهو الظهور والاشراق والمراد بالمناهج كل ما يتقرب به إليه سبحانه (أت).

(3) أي: قائما بأمر الأمة وقيل مستقيما (أت).

(4) الهدى بفتح الهاء وكسرها وتسكين الدال المهملة: السيرة والطريقة وفي المغرب: السيرة السوية (شح) أو بضم الهاء أي: تعيد العباد بهدائيتهم (أت).

(5) " التهجم": الدخول في الامر بغتة من غير روية. (أت). وفي بعض النسخ [التعجم] من العجمة وهي اللكنة في اللسان. (شح).

[5]

الظلم(1) ومغشيات البهم.(2) وصلى الله على محمد وأهل بيته الاخير الذين أذهب الله عنهم الرجس [أهل البيت] وطهرهم تطهيرا.

أما بعد، فقد فهمت يا أخي ما شكوت من اصطلاح أهل دهرنا على الجهالة(3) وتوازرهم وسعيهم في عمارة طرقها، ومباينتهم العلم وأهله، حتى كاد العلم معهم أن يأزر كله(4) وينقطع مواده، لما قد رضوا أن يستندوا إلى الجهل، ويضيعوا العلم وأهله.

وسألت: هل يسع الناس المقام على الجهالة والتدين بغير علم، إذا كانوا داخلين في الدين، مقرين بجميع اموره على جهة الاستحسان، والنشوء عليه(5)، والتقليد للأباء، والاسلاف والكبراء، والاتكال على عقولهم في دقيق الاشياء وجليلها، فاعلم يا أخي رحمك الله أن الله تبارك وتعالى خلق عباده خلقة منفصلة من البهائم في الفطن والعقول المركبة فيهم، محتملة للامر والنهي، وجعلهم(6) جل ذكره صنفين: صنفا منهم أهل الصحة والسلامة، وصنفا منهم أهل الضرر والزمانة،(7) فخص أهل الصحة والسلامة بالامر والنهي، بعد ما أكمل لهم آلة التكليف، ووضع التكليف عن أهل الزمانة والضرر، إذ قد خلقهم خلقة غير محتملة للادب والتعليم وجعل عزوجل سبب بقائهم أهل الصحة والسلامة، وجعل بقاء أهل الصحة والسلامة بالادب والتعليم، فلو كانت الجهالة جائزة لأهل الصحة والسلامة لجاز وضع التكليف عنهم، وفي جواز ذلك بطلان الكتب والرسل والآداب، وفي رفع الكتب والرسل والآداب

(1) جمع ملمة وهي: النازلة.

(2) أي: مستورات البهم. والبهم كصرد جمع بهمة بالضم وهو الامر الذي لا يهتدى لوجهه اي: الامور المشككة التي خفى على الناس ما هو الحق فيها وستر عنهم (أت).

(3) أي: تصالحهم وتوافقهم. والتوازر: التعاون: (أت).

(4) الازر بتقديم المنقولة جاء بمعنى القوة والضعف وهنا بمعنى الثاني. ويحتمل أن يكون بأرز بتقديم المهملة من أرز يأرز وهو التجمع والتضام. قال رسول الله صلى الله عليه واله: " ان الاسلام ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها " وفي الحديث: " ان العلم يأرز كما تأرز الحية في جحرها "

(5) من قولهم نشأت في بني فلان نشأ ونشوء، إذا شبيبت فيهم وفي أكثر النسخ [والسبق عليه] وفي بعضها [والنشق].

(6) في بعض النسخ [خلفهم].

(7) المراد بأهل الضرر مكفوفوا البصر. وفي الصحاح رجل ضرير أي ذاهب البصر، ورجل زمن أي مبتلى. والزمان أفة في الحيوانات وفي المغرب: الزمن الذي طال مرضه زمانا (شج).

[*]

[6]

فساد التدبير، والرجوع إلى قول أهل الدهر، فوجب في عدل الله عزوجل وحكمته أن يخص من خلق من خلقه خلقة محتملة للأمر والنهي، بالأمر والنهي، لئلا يكونوا سدى مهملين، وليعظموه ويوحدوه، ويقروا له بالربوبية، وليعلموا أنه خالقهم ورازقهم، إذ شواهد ربوبيته دالة ظاهرة، وحججه نيرة واضحة، وأعلامه لائحة تدعوهم إلى توحيد الله عزوجل، وتشهد على أنفسها لصانعها بالربوبية والالهية، لما فيها من آثار صنعه، وعجائب تدبيره، فندبهم إلى معرفته لئلا يبيح لهم أن يجهلوه ويجهلوا دينه وأحكامه، لأن الحكيم لا يبيح الجهل به، والإنكار لدينه، فقال جل ثناؤه: " ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق " (1) وقال: " بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه (2) "، فكانوا محصورين بالأمر والنهي، مأمورين بقول الحق، غير مرخص لهم في المقام على الجهل، أمرهم بالسؤال، والتفقه في الدين فقال: " فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم " (3) وقال: " فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون " (4).

فلو كان يسع أهل الصحة والسلامة، المقام على الجهل، لما أمرهم بالسؤال، ولم يكن يحتاج إلى بعثة الرسل بالكتب والأدب، وكادوا يكونون عند ذلك بمنزلة البهائم، ومنزلة أهل الضرر والزمان، ولو كانوا كذلك لما بقوا طرفة عين، فلما لم يجز بقاؤهم إلا بالأدب والتعليم، وجب أنه لا بد لكل صحيح الخلق، كامل الآلة من مؤدب، ودليل، ومشير، وأمر، وناه، وأدب، وتعليم، وسؤال، ومسألة.

فأحق ما اقتبسها العاقل، والتمسه المدير الفطن، وسعى له الموفق المصيب، العلم بالدين، ومعرفة ما استعبد الله به خلقه من توحيده، وشرائعه وأحكامه، وأمره ونهيه وزواجره وآدابه، إذ كانت الحجة ثابتة، والتكليف لازما، والعمر يسيرا، والتسوية غير مقبول، والشرط من الله جل ذكره فيما استعبد به خلقه أن يؤدي جميع فرائضه بعلم ويقين وبصيرة، ليكون المؤدي لها محمودا عند ربه، مستوجبا لثوابه، وعظيم جزائه، لأن الذي يؤدي بغير علم وبصيرة، لا يؤدي ما يؤدي، ولا يؤدي إلى من يؤدي،

(1) الاعراف: 169.

(2) يونس، 39.

(3) التوبة: 122.

(4) النحل: 43.

[*]

[7]

وإذا كان جاهلا لم يكن على ثقة مما أدى، ولا مصدقا، لان المصدق يكون مصدقا حتى يكون عارفا بما صدق به من غير شك ولا شبهة، لان الشاك لا يكون له من الرغبة والرغبة والخضوع والتقرب مثل ما يكون من العالم المستيقن، وقد قال الله عزوجل: " إلا من شهد بالحق وهم يعلمون(1) " فصارت الشهادة مقبولة لعلة العلم بالشهادة، ولولا العلم بالشهادة، لم تكن الشهادة مقبولة، والامر في الشاك المؤدي بغير علم وبصيرة، إلى الله جل ذكره، إن شاء تطول عليه فقبل عمله، وإن شاء رد عليه، لان الشرط عليه من الله أن يؤدي المفروض بعلم وبصيرة ويقين، كيلا يكونوا ممن وصفه الله فقال تبارك وتعالى: " ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين(2) " لانه كان داخلا فيه بغير علم ولا يقين، فلذلك صار خروجه بغير علم ولا يقين، وقد قال العالم عليه السلام: " من دخل في الايمان بعلم ثبت فيه، ونفعه إيمانه، ومن دخل فيه بغير علم خرج منه كما دخل فيه "، وقال عليه السلام: " من أخذ دينه من كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله عليه وآله زالت الجبال قبل أن يزول ومن أخذ دينه من أفواه الرجال ردت الرجل "، وقال عليه السلام: " من لم يعرف أمرنا من القرآن لم ينتكب الفتن(3) " .

ولهذه العلة انبتقت على أهل دهرنا بثوق هذه الاديان الفاسدة،(4) والمذاهب المستشنة(5) التي قد استوفت شرائط الكفر والشرك كلها، وذلك بتوفيق الله تعالى وخذلانه، فمن أراد الله توفيقه وأن يكون إيمانه ثابتا مستقرا، سبب له الاسباب

(1) الزخرف: 87.

(2) الحج: 12. و " على حرف " اي على طرف من الدين لا في وسطه. وهذا مثل لكونه على قلق واضطراب في دينه كالذي يكون على طرف من العسكر، ان احس بظفر وغنيمة اطمأن وقر والا انهزم وفر.

(3) " لم ينتكب " في القاموس: نكب عنه كنصر وفرح نكبا ونكبا ونكوبا: عدل. كنكب وكنكب.

(4) " انبتقت " يقال يثق الماء بثوقا فتحه بأن خرق الشط وانبتق هو إذا جرى بنفسه من غير فجر.

والبشق بالفتح والكسر: الاسم. كذا في المغرب. وفي بعض النسخ انبستت بالمهملة. والبثوق في الكلام فاعل انبتقت. اي: انفرجت على اهل دهرنا شقوق هذه الاديان. (أت).

(5) " المستشنة " أي: المستقبحة. وفي بعض النسخ " متشنة " . وفي بعضها " مستبشعة " .

[*]

[8]

التي توديه إلى أن يأخذ دينه من كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله عليه وآله بعلم ويقين وبصيرة، فذاك أثبت في دينه من الجبال الرواسي، ومن أراد الله خذلانه وأن يكون دينه معارا مستودعا - نعوذ بالله منه - سبب له أسباب الاستحسان والتقليد والتأويل من غير علم وبصيرة، فذاك في المشيئة إن شاء الله تبارك وتعالى أتم إيمانه، وإن شاء سلبه إياه، ولا يؤمن عليه أن يصبح مؤمنا ويمسي كافرا، أو يمسي مؤمنا ويصبح كافرا، لانه كلما رأى كبيرا من الكبراء مال معه، وكلما رأى شيئا استحسن ظاهره قبله، وقد قال العالم عليه السلام: " إن الله عزوجل خلق النبيين على النبوة، فلا يكونون إلا أنبياء، وخلق الاوصياء على الوصية، فلا يكونون إلا أوصياء، وأعار قوما إيمانا فإن شاء تممه لهم، وإن شاء سلبهم إياه.

قال: وفيهم جرى قوله: فمستقر ومستودع".

وذكرت أن امورا قد أشكلت عليك، لا تعرف حقائقها لاختلاف الرواية فيها، وأنك تعلم أن اختلاف الرواية فيها لاختلاف عللها وأسبابها، وأنك لا تجد بحضرتك من تذاكره وتفاوضه(1) ممن تثق بعلمه فيها، وقلت: إنك تحب أن يكون عندك كتاب كاف يجمع [فيه] من جميع فنون علم الدين، ما يكتفي به المتعلم، ويرجع إليه المسترشد، ويأخذ منه من يريد علم الدين والعمل به بالأثار الصحيحة عن الصادقين عليهم السلام والسنن القائمة التي عليها العمل، وبها يؤدي فرض الله عزوجل وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، وقلت: لو كان ذلك رجوت أن يكون ذلك سببا يتدارك الله [تعالى] بمعونته وتوفيقه إخواننا وأهل ملتنا ويقبل بهم إلى مرشدكم.

فاعلم يا أخي أرشدك الله أنه لا يسع أحدا تمييز شئ مما اختلف الرواية فيه عن العلماء عليهم السلام برأيه، إلا على ما أطلقه العالم بقوله عليه السلام: " اعرضوها على كتاب الله فما وافى كتاب الله عزوجل فخذوه، وما خالف كتاب الله فردوه " وقوله عليه السلام: " دعوا ما وافق القوم فإن الرشد في خلافهم " وقوله عليه السلام " خذوا بالمجمع

(1) مفاوضة العلماء: محادثتهم ومذاكرتهم في العلم: مفاولة من التفويض بمعنى المشاركة. (شج).

[*]

[9]

عليه، فإن المجمع عليه لا ريب فيه " ونحن لا نعرف من جميع ذلك إلا أقله(1) ولا نجد شيئا أحوط ولا أوسع من رد علم ذلك كله إلى العالم عليه السلام وقبول ما وسع من الأمر فيه بقوله عليه السلام: " بأيما أخذتم من باب التسليم وسعكم ".

وقد يسر الله - وله الحمد - تأليف ما سألت، وأرجو أن يكون بحيث توخيت(2) فمهما كان فيه من تقصير فلم تقصر نيتنا في إهداء النصيحة، إذ كانت واجبة لإخواننا وأهل ملتنا، مع ما رجونا أن نكون مشاركين لكل من اقتبس منه، وعمل بما فيه دهرنا هذا، وفي غابره(3) إلى انقضاء الدنيا، إذ الرب عزوجل واحد والرسول محمد خاتم النبيين - صلوات الله وسلامه عليه وآله - واحد، والشريعة واحدة وحلال محمد حلال وحرامه حرام إلى يوم القيامة، ووسعنا قليلا كتاب الحجة وإن لم نكملة على استحقاقه، لانا كرهننا أن نبخس(4) حظوظه كلها.

وأرجو أن يسهل الله عزوجل إمضاء ما قدمنا من النية، إن تأخر الاجل صنفنا كتابا أوسع وأكمل منه، نوفيه حقوقه كلها إن شاء الله تعالى وبه الحول والقوة وإليه الرغبة في الزيادة في المعونة والتوفيق.

والصلاة على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين(5) الاخيار.

وأول ما أبدأ به وأفتتح به كتابي هذا كتاب العقل، وفضائل العلم، وارتفاع درجة أهله، وعلو قدرهم، ونقص الجهل، وخساسة أهله، وسقوط منزلتهم، إذ كان العقل هو القطب الذي عليه المدار(6) وبه يحتج وله الثواب، وعليه العقاب، [والله الموفق].

(1) " أقله " اي: أقل ذلك الجميع، يعنى انا لا نعرف افراد التمييز الحاصل من جهة تلك القوانين المذكورة الا الاقل. (لج).

(2) توخيت اي تحريت وقصدت. (لج)

(3) الغابر: الماضي والمستقبل هو من الاضداد والمراد منه هنا الثاني. (لج)

(4) نبخس) اي ننقص ونترك، والحظوظ: جمع كثرة للحظ وهو النصيب. (لج).

(5) في بعض النسخ [الطيبين].

(6) أي: مدار التكليف والحكم بين الحق والباطل من الافكار وبين الصحيح والسقيم من الانظار. (لج).

[*]